أشكال التّطوّر الدّلاليّ لألفاظ اللّغة العربيّة من خلال المعجم التّاريخيّ: نحو نظريّة جديدة لتفسير تغيُّر المعنى في العربيّة

Forms of Semantic Development of Arabic Words through the Historical Dictionary: Towards a New Theory for Explaining Meaning Change in Arabic

د. ياسين بوراس♥

المعرّف الرّقميّ للمقال: 10.33705/0114-027-001-001 DOI

تاريخ الاستلام: 15-12-2024 تاريخ القبـول: 21-12-2024 تاريخ النّشر: 15-03-2025

ملخّص: يعدّ التّطوّر الدّلاليّ للألفاظ أحد مظاهر تطوّر اللّغة في الحياة الاجتماعيّة للإنسان، وهو إن كان يعكس في مضمونه قدرة اللّغة على مواكبة مستجدّات العصر، إلا أنّه يعكس كذلك في مضمونه قدرة الإنسان على التّعبير عن مستجدّات الحياة في كلّ عصر، ولهذا جاء هذا المقال ليَعْرِض لموضوع التّطوّر الدّلالي للألفاظ في اللغة العربيّة من خلال المعجم التّاريخيّ، باعتباره أحد المدوّنات اللّغويّة التي يمكن اعتمادها في إثبات أسبقية المعاني بعضها على بعض، لمعرفة الأصل والفرع من هذه المعاني، أو ما الذي يمثّل أصلا وما الذي يمثّل فرعا لإثبات صحّة هذا التّطوّر، وهذا بعد أن كان يُعْتَمَد على كتب فقه اللّغة أو المعاجم القديمة في إثبات هذه الظّاهرة بالنّسبة للّغة العربيّة. وموضوع التّطور الدّلاليّ للألفاظ قديم حديث، ولكنّه مع المعجم التّاريخيّ يصير فيه الموضوع مستجدا، لأن لهذا المعجم دورا بارزا في تبيان الكثير من جوانب حياة اللغة أو الألفاظ في اللغة العربية.

كلمـات مفتاحيّـة: أشكال؛ التّطوّر الدّلاليّ؛ الألفاظ؛ اللّغة العربيّة؛ المعجم التّاريخيّ.

♥ جامعة محمّد بوضياف بالمسيلة.

البريد الإلكتروني: yassine.bouras@univ-msila.dz، (المؤلّف المرسل).

Abstract: The semantic development of words is one of the manifestations of linguistic evolution in the social life of humans. While it reflects the language's ability to keep pace with contemporary advancements, it also demonstrates humanity's capacity to express Life developments in every era. This article addresses the topic of semantic development of words in the Arabic language through the historical dictionary, as it serves as a linguistic corpus that can be relied upon to establish the precedence of certain meanings over others. This helps determine the origins and derivatives of these meanings, identifying what represents the root and what represents the branch, thus validating this development. Previously, this phenomenon in Arabic relied on works of philology or classical dictionaries. The subject of semantic development of words is both ancient and modern, but with the historical dictionary, it takes on a renewed dimension. This dictionary plays a prominent role in elucidating many aspects of the life of language and its vocabulary in Arabic.

Keywords: forms; semantic development; words; Arabic language; historical dictionary.

1. مقدّمة: كثيرا ما سمعنا عن التَّطوّر الدّلاليّ للألفاظ في العربيّة أو غيرها من اللغات السّاميّة، وربما قرأنا شيئا عن هذا التّطوّر أو التّغيّر وأسبابه؛ وحتّى بعض مظاهره في كتب فقه اللّغة: كالمجاز، والاستعارة، والانتقال من العام إلى الخاصّ أو العكس، وغيرها من أشكال هذا التّطوّر أو مظاهره، ولكنّ البحث في طريقة انتقال هذه الألفاظ أو تغيرها الدّلاليّ عبر مختلف العصور التّاريخيّة للّغة لم يكن من خلال البحث في الحياة الاجتماعيّة للنّاطقين بالعربيّة أو غيرها من اللغات السّامية، أبدا لم يكن أو يكاد يكون معدوما، رغم محاولة بعض الدّراسات في فقه اللغة، ربط أسباب هذا التّغير في العربيّة مثلا بعامل الدّين

في العصر الإسلاميّ، أو تطور الحياة السياسيّة أو الاقتصاديّة للمجتمع العربيّ فيما بعده من العصور، إلا أنّ هذا التّفسير يبقى يخفي خلفه الكثير من الحقائق التي تتعلقّ باللغة، وطريقة انتقال ألفاظها من معنى إلى آخر، وذلك لأنّ المعجم الكفيل برصد هذا التّطوّر، الذي لم يكن موجودا أو على الأقل لم يكن متحقّقا بالشّكل الذي ينبغي أن يكون عليه هذا المعجم، بما يمكن من وضع مسح شامل أو كليّ لجميع ألفاظ اللغة وتتبع تطور دلالتها عبر مختلف العصور التّاريخيّة؛ ومن ثمة محاولة إيجاد تفسير منطقيّ لطريقة تطوّر دلالة هذه الألفاظ، أمّا والمعجم التّاريخيّ للغة العربيّة قد صار حاضرا بين أيدينا فقد صار من الممكن البحث في طريقة تغير دلالة هذه الألفاظ مع إيجاد تفسير منطقيّ لأسباب هذا التّغيّر، تبعا لمختلف المراحل التي تمرّ بها اللّغة، بما يمكن من الإجابة عن السّؤال الذي من الممكن أن يطرح في ذهن كلّ قارئ عربيّ لظاهرة التّطوّر، وهو: **كيف تتطوّر دلالة الألفاظ في اللّغة العربيّة؟ ولماذا؟**

2. مفهوم التّطوّر الدّلاليّ للألفاظ: لا يختلف اثنان في أنّ التّطوّر الدّلاليّ للألفاظ هو انتقال اللفظ من معنى إلى آخر سواء بفارق زمنيّ بين المعنيّين أم من دون فارق، ولكن ما يمكن اعتباره بمثابة تطوّر حقيقيّ للألفاظ هو ذلك التطوّر الذي يكون مقترنا بزمن، لأنه يعكس حقيقة انتقال اللفظ من عصر إلى آخر وبمعنى مختلف، أمّا والعصر واحد والمعنى مختلف فهذا يمكن عدّه عند علماء اللغة بمثابة استعمال تدعو إليه الحاجة وليس تطوّرا، وإن كان يخفي خلفه نوعا من التّطوّر في الاستعمال؛ لأنّه لا يمكن تسمية الأشياء دفعة واحدة بلفظ واحد متّحد مبنى ومختلف معنى. ومن هذا المنطلق الذي يعدّ فيه التّطوّر الدّلاليّ هو ذلك التّطوّر الذي يحصل في معنى اللّفظ من زمن إلى آخر دون تقدير حقيقيّ لهذا الزمن عند علماء اللّغة، فإنّ التّغيّر الدّلالي هو "في غالب أحواله مقيد بالزّمان والمكان، فمعظم ظواهره يقتصر أثرها على بيئة معينة

وعصر خاص، ولا نكاد نعثر على تطوّر دلالي لحق جميع اللغات الإنسانيّة في صورة واحدة ووقت واحد". (وافي، 1944، ص317). وإذا أخذنا بهذا المبدأ فإننا ننكر التّغيّر الدّلاليّ الحاصل في عصر واحد ومكان واحد على رأي على عبد الواحد وافي؛ بل يمكن اعتبار هذا التّغير الحاصل في زمن واحد، بمثابة مشترك لفظيّ لا غير، مع العلم أنّ التّطوّر الدّلاليّ هو انتقال للفظ من معنى إلى آخر دون شروط تُذكر، لأنّ ما يشترط في التّطوّر هو تغير الدّلالة لا أكثر، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار التّطوّر الدّلالي هو كلّ تغيّر في الدّلالة بغضّ النّظر عن المكان والزّمان، وإن كان التّغير الحاصل في الزّمان والمكان يعكس حقيقة هذا التّطوّر؛ بشكل أوضح في كثير من الأحيان لتغيّر الحياة السّياسية أو الاقتصاديّة أو الاجتماعية للنّاطقين باللغة.

3. أسباب التّطور/ التّغيّر الدّلالي للألفاظ في اللّغة العربيّة: كثيرا ما ارتبطت أسباب التّغيّر الدّلاليّ أو ما يسمّى عند علماء فقه اللغة بالتّطوّر بعوامل دينيّة أو سياسيّة أو اقتصاديّة يعرفها المجتمع في مرحلة من مراحل تطوّر اللّغة، بل وفي بعض الأحيان بعامل الجوار الذي يكاد يكون في عصرنا الحالي أحد أسباب التّأثير المباشر في اللّغة، ولكن نظرة فاحصة إلى أسباب هذا التّطوّر أو التّغير تجعلنا نعتبر هذه الأسباب ثانويّة؛ لأن الألفاظ تبدأ في استعمالها لمعنى واحد وهو الأصل ثم سرعان ما تنتقل بين المعاني لسبب أو لآخر لعلاقة المشابهة أو الاستعارة، أو غيرها من أشكال التّطوّر الدّلاليّ والذي نراه السّبب الرئيس في نشأة هذا التّطوّر –اتّفاقا مع ما جاء به إبراهيم أنيس– هو أولا؛ كثرة الاستعمال الذي يؤديّ إلى نشأة بعض الألفاظ أو المعاني واندثار بعضها، بسبب التّرك والابتذال أو الجوار الحاصل بين بعض الأصوات في الكلمات. وثانيا؛ الحاجة الّتي تؤدّي بالضّرورة إلى نشأة بعض الألفاظ أو المعاني، نتيجة لتطوّر الحياة السّياسية أو الاقتصاديّة أو الاجتماعيّة للمجتمع، أو تطورّ الحياة العقليّة للنّاطقين باللّغة. (أنيس، 1976، ص134–167)

فالاستعمال والحاجة هما ما يمكن اعتباره السّبب الرّئيس في تغيّر المعانيّ أو تطوّر الدّلالة، كما يفصح عنه تاريخ اللّغة العربيّة في المعجم التّاريخيّ، أو علم التّأثيل (أو التّأصيل) الذي يهدف إلى البحث في الأصل المشترك بين مختلف هذه المعاني، وهو جزء لا يتجزّأ من هذا المعجم (المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة).

4. أنواع التّطوّر الدّلاليّ لألفاظ اللغة العربيّة في المعجم التّاريخيّ: لا يخفى على أحد من الدّارسين لألفاظ اللغة العربيّة أن أشكال التّطور الدّلاليّ عديدة ومتنوعة، تشمل وفقا لعلماء فقه اللغة أو الفيلولوجيا –بتعبير علماء اللّسانيات الغربيّة– المجاز أو الاستعارة، والمجاورة أو المصاحبة (الزّمانية والمكانيّة) والتّعميم والتّخصيص بالنّسبة للدّلالة، ورقي الدّلالة أو انحطاطها كما يسميها إبراهيم أنيس، ومع ذلك تبقى هذه العلاقات الدّلالية قاصرة عن تحديد الأشكال الحقيقيّة التي تنتقل بموجبها بعض الألفاظ من معنى إلى آخر فالتّوسيع والتّخصيص على سبيل المثال –وهما نظريّتان تعتمدان في تفسير تغير المعنى– لا يمكن أن يفسّر لنا بشكل منطقيّ طريقة هذا التّوسيع أو التّخصيص للمعنى، لهذا وجب البحث في طرق أخرى أكثر واقعيّة في تفسير تغيّر الدّلالة في أحد هذه الاتّجاهات، كالمشابهة، والزّمانية أو المكانيّة، والحالية أو المحلّيّة، والجزئيّة، والكلّيّة، والسّببيّة، والوظيفة أو الأداة، ويضاف إليها الاشتقاق كنمط من أنماط توليد المعاني؛ لأنّ الثّراء الذي تعرفه العربيّة في مجال تغيّر الدّلالة، يجعل حصر هذا التّغيّر في ستة أنماط مضّللا نوعا ما عن إدراك المعاني الحقيقة الكامنة خلف هذا التّطور؛ لأنّه ومهما بلغ بالتّطوّر الدّلاليّ من تباعد بين المعنى الأصليّ والمعاني الفرعيّة، تبقى دوما إحدى العلاقات الدّلاليّة التي ترتبط بين هذه المعاني الفرعيّة والمعنى الأصليّ أو الرّئيس قائمة، وإلا اعتبر المعنى مرتجلا، وهذا ما يمكن اعتباره دليلا على القول باعتباطية اللغة أو العلاقة بين الدّال والمدلول:

1.4 الاستعارة (أو المجاز): تُعَدُّ الاستعارة كما يدلّ عليه التّطوّر الدّلاليّ لبعض الألفاظ في المعجم التّاريخيّ، أكثر العلاقات الدّلاليّة حضورا في ما يتعلّق بالتّطوّر الدّلاليّ للألفاظ في اللغة العربيّة؛ وذلك لأنّ الاستعارة –ولعلاقة المشابهة بشكل أكبر– أكثر ما يستحضره الإنسان في ذهنه عند تسمية الأشياء بمسمّياتها، ولهذا كان من الطّبيعيّ أن يطلق العربيّ مسمّى واحدا على عدّة أشياء متشابهة أو تجمعها علاقة تشابه في محيطه الاجتماعيّ؛ إذ "ينحرف النّاس عادة باللّفظ من مجاله المألوف إلى آخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة في التّعبير، وتتزاحم المعاني في أذهانهم أو التّجارب في حياتهم، ثمّ لا يسعفهم ما ادّخروه من ألفاظ، وما تعلّموه من كلمات، فهنا قد يلجؤون إلى تلك الذّخيرة اللّفظيّة المألوفة، مستعينين بها على التّعبير عن تجاربهم الجديدة لأدنى ملابسة أو مشابهة أو علاقة بين القديم والجديد." (أنيس، 1976، ص130) وينطبق هذا على الاستعارة أو المجاز كما يسمّيه علماء فقه اللغة، لأنّ اللفظ فيها ينتقل من معنى حقيقيّ إلى معنى مجازيّ لعلاقة المشابهة أو لغير المشابهة. أمّا ما استعمل مجازا لعلاقة المشابهة فكلمة (بَقَرَةٍ) التي استعملت للحيوان الثّديّ وحشيٍّ أو مستأنس (177ق.هـ=450م) ثمّ سرعان ما اتّسع مدلولها لتشمل كلّ ما شابه البقر في اتّساع أو لون، فأطلق على القدر الكبيرة الواسعة (11هـ=632م) ثمّ على طائر يجمع في لونه بين البياض والسّواد أو رماديا أو أبيض (206هـ=821م) ثمّ على العيال الكثير (240هـ=854م). والأمر نفسه بالنّسبة لكلمة (زعنفة) التي استعملت (50ق.هـ=537م) لطرف الجلد الذيّ تُشَدُّ فيه الأوتاد إذا مدّ للدّباغ، ثمّ لأجنحة السّمك (2ق.هـ=620م) ثُمَّ على القطعة من الثّوب (170هـ=787م) لاشتراك كلّ منها في صفة القِصَر، وكلمة (الصّحن) التي انتقل مدلولها من الآنية (80ق.هـ=544م) إلى صحن الدّار (13ق.هـ=609م) لاتّساع قعره أو وسطه. وكلمة (القناة) التي هي الرُّمح (135ق.هـ=490م) ثم استعير لقناة الظّهر (40ق.هـ=583م) حيث

تنتظم الفقرات، ثمّ لمجرى الماء في الأرض (63هـ=683م) لاستقامته على طريق واحد، وكذلك استعارة (الزّناد) وهو العود الذي تُستقْدَح به النّار (46ق.هـ=577م) لزناد البندقيّة (1406هـ=1985م) وغيره كثير.

ولا تقتصر علاقة المشابهة في التّطوّر الدّلاليّ لألفاظ اللغة العربيّة على انتقال الدّلالة من اسم إلى اسم، بل تتعدّاه إلى الأفعال التي من الممكن أن ينتقل فيها مدلول اللّفظ من الفعل إلى الفعل أو من الفعل إلى الاسم أو العكس لمجرّد علاقة المشابهة، كالفعل سَعَرَ أو أسَعَرَ للحرب، وعضّ واشتدّ للزّمان وهاج وثار للرّيح، وغيرها من الأفعال التي انتقل فيها مدلول الفعل من معناه الحقيقيّ إلى معناه المجازيّ لعلاقة المشابهة. أمّا ما انتقلت فيه الدّلالة من الاسم إلى الفعل لعلاقة المشابهة كذلك، فالفعل (زَنَد) للحرب (126هـ=744م) من الزّناد (46ق.هـ=577م) إذا أثارها، و(نَسَرَ) (40ق.هـ=583م) من النَّسر (100ق.هـ=525م) وهو الطّائر المعروف، ثمّ استعمل للاختلاس والاستلاب تشبيها بفعله، وزَعْنَفَ العروس (650هـ=1252م) إذا زيّنها من زِعْنِفَة (50ق.هـ=537م) لأنّ تزيينها لا يكون إلا بالحليّ التي هي أشبه بالزّعانف على المرأة، قرطا كان أو سوارا أو عقدا. وفَرَسَ عُنُقَهُ (13ق.هـ=609م) إذا دقّها، مِنَ الفَرَسِ (135ق.هـ=490م) لأنّ الفرس مما يدّق الأرض بقدميه عند العدو أو السّير. وبَعَضَهُ: (53هـ=673م) من البعوض (94ق.هـ=530م) إذا عضّه وأذاه. وبقر الأرض ونحوها (32ق.هـ=591م) إذا شقّها أو فتحها من البَقَر (177ق.هـ=450م) تشبيها لاتّساع الشّقّ فيها باتّساع بطن البقرة، وكذلك اسْتَأْسَدَ (86ق.هـ=538م) من الأَسَد (400ق.هـ=223م) واستنسر (224هـ=839م) من النّسر (50ق.هـ=573م) وغيره الكثير .

ويمكن كشف هذه العلاقة (علاقة المشابهة) بشكل أكبر من خلال عدّة معاني يتم فيها انتقال الدّلالة من معنى إلى معنى في أسماء الحيوانات التي الأصل فيها أنّها استعملت حسب تتبع دلالتها تاريخيّا، في التّعبير عن أفعال ثم

انتقلت إلى الأسماء كاسم الدُّبّ (32هـ=749م) من دبّ: إذا سار رويدا (80ق.هـ=544م). والحَجَل (86ق.هـ=538م) من حَجَل في مشيه: إذا وثب (100ق.هـ=525م)، والطَّيْر من (طار): إذا علا وارتفع، والنّحل من (نَحَل) أو (نَحُل) إذا رقّ وهزل، وهذا كلّه مما انتقلت فيه الدّلالة أو استعير فيه اللّفظ لعلاقة المشابهة. أمّا ما استعير من ألفاظ لعلاقة غير المشابهة ضمن ما يسميه علماء فقه اللغة بالمجاز، فكذلك كثير، ومنه لفظ (اليمين) الذي الأصل فيه الدّلالة على الجهة أو اليد اليمنى (150ق.هـ=476م) ثم اسْتُعير للحَلِفِ أو القسم (100ق.هـ=525م) لأنّ العرب كانت إذا تحالفت أو تعاهدت أخذ الرّجل يمين صاحبه بيمينه، ثمّ كثر ذلك حتى سمِّي الحَلِفُ والعهد نفسه يمينا. (ابن عطية، 2001، ص301) ثمّ للقُوَّة (11هـ=632م) لأنّ اليمين ممّا يُستقْوى بِها فصارت إلى معنى القوّة أقر. وكذلك (القلم) الذي الأصل فيه أداة الكتابة (75ق.هـ=550م) ثمّ استعير للخطّ أو الكتابة (11هـ=632م) فيقال: قلم فلان وهم يريدون خطّه أو أسلوبه في الكتابه، وكذلك (العَلَم) الّذي الأصل فيه أنّه يدلّ على ما يُنْصب في الطّريق ليُهتدى به (102ق.هـ=523م) ثمّ أُطلق على الرّاية (45ق.هـ=587م) و(الرّأس) الذي الأصل فيه الدّلالة على ما للإنسان من منبت الشّعر في أعلاه (288ق.هـ=342م) ثم أطلق على سّيد القوم أو قائدهم (102ق.هـ=523م) ثمّ على الأعلى من كلّ شّيء (86ق.هـ=538م) و(السِّنُّ) الذي الأصل فيه أنّه استعمل للعُمْرِ (249ق.هـ=380م) ثم استعير للعظم النّاتئ من الفكّ (150ق.هـ=476م) للدّلالة عليه عند سائر الحيوان من ذوي الحافر. و(الأجر) الذي الأصل فيه ما يدفع مقابل عمل ما (64ق.هـ=559م) ثمّ استعير لعموم الثّواب عند الله سبحانه وتعالى (12ق.هـ=611م) في مجازاة عباده الصّالحين، وفي العصر الحديث لفظ (الزّرّ) الذي استعمل أوّل ما استعمل للدّلالة على زرّ القميص (8هـ=630م) ثمّ أطلق مجازا على زرّ التّشغيل في الآلات الكهربائيّة (1332هـ=1913م)

وغيرها من الألفاظ التي ينتقل فيها مدلول اللّفظ من معنى حقيقيّ إلى معنى مجازيّ تحت علاقة المشابهة أو غير المشابهة، وهي في الحقيقة استعارة لا غير.

2.4 الاشتقاق: يكون الاشتقاق مظهرا من مظاهر التّطوّر الدّلاليّ للألفاظ في اللغة العربيّة في اتّجاهين إمّا من الفعل نحو الاسم أو من الاسم نحو الفعل، وأكبر ما يكون في النّحو الأوّل، وأكثر ما يكون في المهن والحرف والأدوات، كقُبَّعة (1355هـ=1936م) للغطاء الذي يقي الرّأس حرّ الشّمس أو المطر، من قبع فلانٌ الشّيْءَ (337هـ=948م): إذا أخفاه، أو قبع في ثوبه (206هـ=821): إذا دخل فيه وغطّى رأسه. أو قبع رأسه بالليل: غطّاه خشية أن يعرف (370هـ=981م) وجلاّد (54هـ=677م) من جَلَد (70ق.هـ=552م) وسيّاف (93هـ=712م) من ساف (20هـ=641م) ونسّاج (13ق.هـ=609م) من نسج (50ق.هـ=573م) وسبّاك (318هـ=930م) من سَبَكَ (50هـ=670م) وكاتب (132هـ=749م) من كَتَبَ (13ق.هـ=609م) وأمير (50ق.هـ=573م) من أَمَرَ (100ق.هـ=525م) ومَلِك (150ق.هـ=476م) من مَلَك (150ق.هـ=476م) ونجّار من نَجَرَ (23هـ=644م) وفلاح (23هـ=644م) من فَلَحَ (11هـ=632م) وغيرها ممّا لا يعدّ ولا يحصى من هذه المهن والحرف أو المشتقّات. أمّا ما يكون فيه الاشتقاق من الاسم نحو الفعل، فأَسِدَ (100ق.هـ=525م) واسْتَأْسَدَ (86ق.هـ=538م) من الأَسَد (400ق.هـ=223م) واستنسر (224هـ=839م) من النّسر (50ق.هـ=573م) وساف (10ق.هـ=612م) واستاف (170هـ=787م) من السَّيف (129ق.هـ=496م) وتَقَلَّس (170هـ=787م) أو قَلْنَسَ (231هـ=846م) أَوْ تَقَلْنَسَ (216هـ=831م) من القَلَنْسُوَة (11هـ=632م) وهي ما يُلْبَس على الرّأس بخلاف العِمامة. وزَنَد (538هـ=1144م) من الزِّناد، وهو العود الذي تُستقْدَح به النّار (46ق.هـ=577م) والفِعل للنّار إذا قدحها، والرّبيئة (80ق.هـ=544م) بمعنى

الطّليعة الذي يرقب العدوّ من مكان مشرف أو عال، من الفعل ربأ (150ق.هـ=476م) لفلان وغيره إذا علا وارتفع، وغيرها من الألفاظ التي يعدّ فيها الاشتقاق شكلا من أشكال التّطوّر الدّلاليّ. وأكثر ما يكون فيه انتقال هذه الدّلالة في ألفاظ الحياة العامّة كالسّلاح، والأواني، والألبسة، والأمثال والحكم ونحوها ممّا يستعمل في الحياة اليوميّة للعامّة أو الخاصّة من النّاس.

3.4 المجاورة (المصاحبة الزّمانيّة/ المكانيّة): نقصد بالمصاحبة اتّفاق معنى اللّفظ مع المعنى السّابق زمانا أو مكانا، ويطلق عليه علي عبد الواحد وافي مصطلح المجاورة الزمانيّة أو المكانية، ويستدلّ عليه بكلمتي (ظعينة) التي كانت تعني المرأة في الهودج (110ق.هـ=515م) ثم انتقلت إلى معنى الهودج في حدّ ذاته (79ق.هـ=545م) و(عقيقة) التي كانت تعني شَعْرُ الولد حين يخرج من بطن أمّه (50ق.هـ=573م) ثم انتقلت إلى معنى الذّبيحة التي تُنْحَر على المولود شكرا لله تعالى (11هـ=632م). (وافي، 1944، ص316-317) ونرى الأولى تسميته بمصطلح المصاحبة الذي يدلّ على مصاحبة معنى اللّفظ للمعنى الأوّل في المكان أو الزّمان، ومن أمثلته كلمة (العُرْس) التي الأصل فيها الجماع (365ق.هـ=268م) ثم أطلقت على الزّواج (74ق.هـ=550م) ثمّ على طعام الوليمة ليلة الزّواج (11هـ=632م) لتزامنها في اللّيلة، وكلمة (الجَنازة) التي الأصل فيها الدّلالة على الميّت (11هـ=632م) ثمّ انتقل مدلولها إلى النّعش الذي يُحْمَل عليه (93هـ=711م) و(السُّفْرَة) التي الأصل فيها قطعة الجلد التي يوضع فيها الطّعام (13ق.هـ=609م) ثم انتقل مدلولها إلى معنى الطّعام في حدّ ذاته، وخُصَّ به طعام المسافر (58هـ=678م) وكلمة (المَلَّة) التي الأصل فيها إطلاقها على الرّماد الحارّ أو الجمر الذي يحمى ليُدفن فيه الخبز (60ق.هـ=564م) ثم صار إلى معنى الخبز في حدّ ذاته (64هـ=684م) وغيره الكثير مما يتجاور فيها المعنيان زمانا أو مكانا فيندثر معه المعنى الأوّل في أحايين كثيرة.

4.4 التَّخصيص: يردّ علماء الدّلالة تخصيص معاني بعض الألفاظ في اللغة العربيّة وغيرها من اللغات إلى كثرة الاستعمال؛ أي استعمال اللّفظ العام في معنى من المعاني الخاصّة مع كثرة؛ "فكثرة استخدام العامّ مثلا في بعض ما يدلّ عليه، يزيل مع تقادم العهد عموم معناه، ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله" (وافي، 1944، ص321) ويستدلّون على ذلك بألفاظ العبادات كالصّلاة، والزّكاة، والصّوم والحجّ، وغيرها من ألفاظ العبادات التي انتقل مدلولها في كلام العرب –بمجيء الإسلام– من معنى العموم، وهي على التّرتيب الدّعاء (110ق.هـ=515م) والنّماء (160ق.هـ=466م) والامتناع عن الطّعام والشّراب (110ق.هـ=515م) والقَصْدُ لبيت الله الحرام (129ق.هـ=496م) إلى معانيها الشّرعيّة المعروفة (11هـ=632م) حتى صارت مخصوصة بها. ولا يقتصر تخصيص الدّلالة على الألفاظ الشّرعيّة بل يمتدّ إلى ألفاظ المهن والحرف، وكذلك بعض المصطلحات العلميّة أو الطّبيّة التي تخصّص فيها دلالة اللّفظ بسبب كثرة الاستعمال لها في ما خصّت به من معاني، كالفلاحة (231هـ=846م) من فلح الأرض (40هـ=661م) والتّجارة (9هـ=630م) من تجر (7هـ=628م) والنّجارة (179هـ=795م) من نَجَرَ (23هـ=644م) والحِدادة (300هـ=9112م) من حدّ السّيف ونحوه (18ق.هـ=605م) إذا شحذه بمبرد ونحوه. والصَّقّال (538هـ=1143م) من صقل (96ق.هـ=529م) والعِطارَةُ (170ق.هـ=786م) من عطّره (13هـ=634م): إذا طيّبه برائحة زكيّة. والعتّال (606هـ=1210م) من عتل (11هـ=632م) إذ أصل هذه الألفاظ كلّها عامّ يدلّ إمّا على شقّ الأرض، أو حدّ السّيف ونحوه، والبيع والشّراء، أو نحت الخشب ونحوه، أو تجليّة المعدن أو تعطير الشّيْء بالطّيب ونحوه، أو جذب الشّيء بالقوة، ثمّ تحوّلت إلى المهن أو الحرف المعروفة لدينا الآن. وكذلك الأمر بالنّسبة لمِبْرَد (80ق.هـ=543م) مِنْ بَرَد (128ق.هـ=494م) ومِشْرَط (170هـ=787م) من شرط (11هـ=632م)

ومِقَصّ (79ق.هـ=545م) من قصّ (80ق.هـ=544م) وبمِبْضَع (170هـ=787م) من بضع (2ق.هـ=620م) وغيرها من الأدوات المستعملة في الجراحة أو غيرها من مجالات الحياة.

وإنّ الانتقال بالمعنى من العامّ إلى الخاصّ يرتبط أساسا بكثرة الاستعمال في الحياة اليوميّة؛ لأنّ اللّفظ رهين الاستعمال وكلّ ما استعمل في معنى مرّات عدّة كلّما ابتعد عن معناه العامّ وانتقل إلى معناه الخاصّ، ويكثر هذا النّموذج من التّطوّر الدّلاليّ للألفاظ في ألفاظ الحياة العامّة: كالطّب، والزّراعة، والفلاحة، والهندسة، وغيرها من المجالات التي تخصّص معنى اللّفظ، حتى لا يعود بينه وبين معناه العامّ أيّ أثر، ولك أن تنظر في أمثلة من نحو: التّشريح (200هـ=816م) والتّقطير (1397هـ=1977م) والتّبطين (1380هـ=1960م) والتّزفيت (1344هـ=1965م) والتّعدين (1401هـ=1981م) التي تحوّلت في العصر الحديث عن معاني أفعالها إلى معاني مخصوصة في الطّب أو الكيمياء أو النّسيج أو الهندسة أو الصّناعة، حتى لم يعد بينها وبين أفعالها أيَّة صلة بل في كثير من الأحيان ما تندثر معاني أفعالها، وتظلّ هذه المصادر المتمحّضة (إلى الاسميّة) تنقل معاني هذه الأفعال بشكل مخصوص.

5.4 التّعميم: ويسمّيه علماء اللغة بالتّوسعة ويقصدون به التّوسعة في المعنى، ويشكّل تعميم الدّلالة كذلك شكلا من أشكال التّطوّر الدّلاليّ لألفاظ اللّغة العربيّة في المعجم التّاريخيّ، حيث تنتقل بموجبه دلالة بعض الألفاظ في اللّغة العربيّة من معنى خاص إلى معنى عام، نتيجة لكثرة الاستعمال كذلك ومن أمثلته دلالة (المال) الذي أطلق في الأصل على ما يُمْلَكُ مِنَ الذّهب والفضّة، ثُمّ تمّ تعميم دلالته على كلِ ما يُقْتَنى ويُمْلَكُ مِنَ الأَعْيانِ. (ابن الأثير 1979، ص373) وكذلك (البضاعة) التي الأصل فيها القطع ثمّ تطوّرت فغدت جزءا من المال الذي يقتطعه المرء من ماله ليتّجر به، ثمّ أمست السّلعة الّتي تُشترى بالمال، فالشّيْء قد يسمّى باسم الشَّيْء إذا كان مجاورا له أو منه

بسبب. (عزّار، 2003، ص89) وكلمة (العُرْس) التي أطلقت على الزّواج (74ق.هـ=550م) ثم على الفرح عموما (632هـ=1234م) والسَّلَعُ (249هـ=380م) الذي أطلق لضرب من الشّجر مرّ الطّعم، ثم تمّ تعميم دلالته على كلّ ما هو مرّ فقيل فيه أَسْلَعُ من سِلِعَ الشَّيْءُ: إذا اشتدّت مراراته (145هـ=762م) وكذلك أَسْلَعَ الشَّجَرُ: إذا أتى بثمر مرّ (40هـ=661م) وغيرها من الألفاظ التي ينتقل فيها مدلول اللّفظ من معنى خاصّ إلى معنى عامّ تحت قاعدة الاستعمال الأشهر أو الأكثر، بشكل تندثر معه في كثير من الأحيان المعاني الخاصّة وتبقى المعاني العامّة قائمة بديلا عنها، وإن كان تعميم الدّلالة –كما يرى إبراهيم أنيس– أقلّ شيوعا في اللغات من تخصيصها، وأقلّ أثرا في تطوّر الدّلالات وتغيّرها؛ حيث يعمد النّاس إلى هذا النّمط من التّطوّر؛ حينما يكتفون بأقلّ قدر ممكن من دقّة الدّلالات وتحديدها، ويقنعون في فهم الدّلالات بالقدر التّقريبيّ الذي يحقّق هدفهم من الكلام والتّخاطب، ولا يكادون يحرصون على الدّلالة الدّقيقة المحدّدة التي تشبه المصطلح العلمي. (أنيس، 1976 ص154–155).

5. خاتمة: ختاما يمكن القول إنّ المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة يمثّل سجلاّ تاريخيا يمكن اعتماده في تفسير التّغير الدّلاليّ للألفاظ، وفق أنماط مختلفة لأشكال هذا التعدّد، وأنّ التّطوّر الدّلاليّ يسير في اتجاهين من الأفعال إلى الأسماء والعكس صحيح، ولكن أكثر التطور يسير من الفعل إلى الاسم لحاجة الإنسان إلى التّعبير عن مستجدّات العصر.

1–لا يمكن قصر مفهوم التّطور الدّلاليّ على انتقال الدّلالة من عصر إلى عصر، أو تغير في الزّمان والمكان؛ بل يمكن أن يشمل مفهوم التّطوّر كلّ تغيّر في الدّلالة سواء تغيّر العصر أم لم يتغير، وسواء تغير المكان والزّمان أم لم يتغيّر؛ لأنّ قصر مفهوم التّطور على ذلك المعنى (تّغيّر الزّمان والمكان) سيجعلنا نعتبر التّغير الحاصل في زمن واحد بمثابة مشترك لفظيّ لا غير.

2-يرتبط التّطوّر الدّلاليّ للألفاظ في اللّغة العربيّة أساسا بكثرة الاستعمال الذي يؤديّ إلى نشأة بعض الألفاظ أو المعاني واندثار بعضها، بسبب التّرك والابتذال، وثانيا بحاجة مستعملي اللّغة إلى التّعبير عن مستجدّات العصر نتيجة لتطور الحياة الاجتماعيّة للناطقين بها.

3-يضيئ المعجم التّاريخي للغة العربيّة الكثير من جوانب حياة الألفاظ في اللغة العربيّة، باعتباره يؤرخ لمعاني هذه الألفاظ من أوّل استعمال لها في مختلف العصور التّاريخيّة للغة العربية؛ بما فيها العصر الجاهليّ والإسلاميّ والعباسيّ إلى غاية عصر الدّول والإمارات والعصر الحديث.

4-تتنوع أشكال التّطور الدّلاليّ للألفاظ في اللّغة العربيّة بين المجاز والاستعارة، والمصاحبة الزّمانية أو المكانية، وتخصيص الدّلالة أو تعميمها ويمكن إلى جانبها إضافة الاشتقاق كنوع من أنواع التّطوّر الدّلاليّ للألفاظ في اللّغة العربيّة.

5-تعد المشابهة أو الاستعارة أكثر العلاقات الدّلاليّة حضورا في ما يتعلّق بأشكال التّطوّر الدّلاليّ للألفاظ في اللغة العربيّة، وذلك لأنّ الاستعارة أو المشابهة أكثر ما يستحضره الإنسان في ذهنه عند تسمية الأشياء بمسمّياتها.

6-تنتقل دلالة الألفاظ في اللغة العربية من العام إلى الخاصّ أو من الخاصّ إلى العامّ، تحت قاعدة الأكثر استعمالا، لدرجة يطغى فيهما أحدهما على الآخر أو يندثر معهما الأقل استعمالا.

7-يحصل التطوّر الدّلالي في كثير من الأحيان من تلقاء نفسه أو بطريقة عفويّة، باستثناء ما يعرف بالمعنى الاصطلاحيّ الذي يكون فيه التّواضع على المعنى مبرّرا لنشأته، ومع ذلك فإنّ علماء اللغة يردونه دوما إلى الاستعمال أو حاجة الإنسان إلى التّعبير عن مستجدّات العصر.

8-لا يعكس بالضّرورة المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة دقّة التّاريخ في تتبّع نشأة ألفاظ اللغة العربيّة أو التّأريخ لمعانيها؛ لاعتماده على مدوّنة يشوبها النّقص وقد

قيل قديما: ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلا أقلّه، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير. (الجمحيّ، 1980، ص25) بما لا يسعفنا من وضع تأريخ دقيق لألفاظ اللّغة العربيّة، ولهذا فالتّأريخ المعتمد يبقى –مهما بلغ من درجة الدّقة–تقريبيّا بما يمكننا من رصد تطوّر دلاليّ هو أقرب إلى الحقيقة منه إلى الحدس والتّخمين.

6. قائمة المراجع:

المؤلّفات:

1-إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1976)، ط3، ص134-167.

2-ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر الزّاوي وآخر، (بيروت: المكتبة العلميّة، 1979)، ج: 4، ص373.

3-ابن سلام الجمحيّ، طبقات فحول الشّعراء، تح: محمود شاكر، (جدّة: دار المدني، 1980)، د.ط، ج: 1، ص25.

4-ابن عطية الأندلسيّ (542هـ)، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، (بيروت: دار الكتب العلميّة، 2001)، ط1، ج: 1، ص301.

5-علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، (القاهرة: نهضة مصر للطّباعة والنّشر، 1944)، ط1، ص317.

6-مهدي أسعد عرار، التّطوّر الدّلاليّ: الإشكال، والأشكال والأمثال، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003)، ص89.

مواقع الإنترنت:

1-مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، تمّت الزّيارة يوم: 15-11-2024. على الرّابط:

https://www.almojam.org/

2-معجم الدّوحة التّاريخيّ للّغة العربيّة، تمّت الزّيارة يوم: 15-11-2024. على الرّابط:

https://www.dohadictionary.org/